ترجمة



ابن حمديس الصقلي

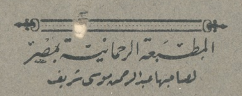
لطلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية

كتبها

عبد المغنى المنشاوى و مصطفى السقا

المدرسان بالمدرسة الخديوية الثانوية

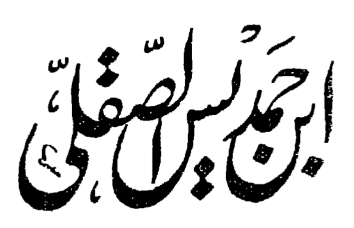
شعبان ١٣٤٧ — يناير ١٩٢٩



المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

ترجمة



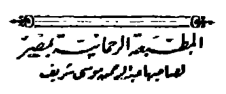
لطلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية

كتبها

عبد المغنى المنشاوى و مصطفى السقا

المدرسان بالمدرسة الخديوية الثانوية

شعبان ١٣٤٧ — يناير ١٩٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه ترجمة موجزة للشاعر الكبير المعروف بابن حمديس الصقلي ، كتبناها لطلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية متوخين أخراجها وفق العناصر التي رسمها منهج الدراسة الحديث .

وكان بودنا لو توسعنا فيها بما يجعلها كفاء منزلة ابن حمديس في الأدب العربي ، لولا أن زمن الدرس لم يسعدنا بذلك ، ولعلنا موفقون ألى تحقيق هذا الأمل ، إن امتد بنا الأجل .

منهج دراسة الكتاب والشعراء

يدرس الشاعر أو الكاتب من النواحى الآتية :

(١) الحالة الاجتماعية والسياسية التى كان يعيش فيها .

(٢) حياته وبيئة

(٣) تأثير كل ذلك فى نفسه ومظاهره فى شعره أو نثره .

(٤) ألفاظه وأسلوبه ومعانيه وميزاته .

(٥) متناول كلامه .

(٦) الموازنة بينه وبين شعراء عصره أو كتابه .

ابن حمديس

علم من أعلام العربية ، وشاعر من أجل شعرائها ، وإمام فى الوصف يأتم به كبار الوصافين ؛ وهو على جلالة قدره ، وسمو منزلته فى الشعر ، مجهول الفضل ، مغموط الحق ، لم يفطن الناس له ، كما فطنوا لبعض المغمورين من الشعراء الذين لم يحلقوا فى سمائه ، ولم يدانوه فى عليائه .

وكأن الجد العاثر الذى صحب ابن حمديس طول حياته ، سرت عدواه إلى شعره بعد مماته ، فظل مطوياً عن الناس شعره ، منسياً فضله .

فإذا نحن عرضنا اليوم لدراسته ، فإنما نحاول بذلك الاتصال بهذه النفس الشاعرة الكبيرة ، علنا نجلو ما اكتنفها من ظلمات السنين ، فتتكشف للناس عن كنوزها المدفونة ، وجواهرها المكنونة ، ويكون الله تعالى قد أراد أن يديل لهذه العبقرية الفذة من أحداث الزمان ، وتصاريف الأيام .

١
الحالة السياسية فى عصره
وأثرها فى شعره

يطلب الينا المقام أن نصف الحال السياسية فى بيئات ثلاث، نشأ ابن حمديس فى أولاها (صقلية)، ونزح إلى الأخريين: (الأندلس وإفريقية).

أ — الحالة السياسية فى صقلية

صقلية البلد الذى نشأ فيه ابن حمديس ثم شب وترعرع؛ وهى جزيرة جنوبى أيطاليا، فتحها العرب بقيادة أسد بن الفرات سنة ٢١٩ للهجرة، فى حكم زيادة الله بن الأغلب حاكم إفريقية، وتوالى عليها الولاة من قبل الأغالبة، ثم من قبل الفواطم، فلما انتقلت خلافتهم الى مصر، أصبحت صقلية تابعة لحاكم أفريقية أبى مناد باديس وأولاده، وظلت فى حكمهم حتى غزاها النورمنديون سنة ٤٦٤ للهجرة، وطردوا العرب منها، فلم يتح لهم أن يحكموها بعد ذلك.

حكم العرب صقلية قرنين وربع قرن لم يصف لهم فيها يوم ، ولم يغمد لهم سيف ، إذ كان الروم من أهل الجزيرة دائبين فى مكافحة العرب ، وأخراجهم من أوطانهم ، فاذا هدأت ثائرة الروم وقلما تهدأ ، خرج العرب على أنفسهم ، يتنازعون الحكم فيما بينهم ، حتى لانت قناتهم ، وذهبت ريحهم ، بعد أن لعبت بهم يد الفرقة ، وشوت وجوههم نار الفتنة ، ذلك إلى أن زهرة الحياة بتلك الجزيرة فتنتهم فجنحوا أليها ، وطفقوا يروون أنفسهم من لذاذاتها ، فدهمهم وهم على حال سيئة من الفرقة والترف ، وأوسعوهم تعذيبا وتنكيلا ، حتى ألجئوهم ألى مغادرة الجزيرة فخرج منها أكثر سكانها من العرب ، ولم يتم جلاء الباقين الا بعد قرن من استيلاء النرمنديين عليها .

رأى ابن حمديس كل ذلك فكان قذى فى عينه ، وشجا فى حلقه ، وحسرة فى فؤاده ، وكان له أثره فى شعره الشاكى ، ووجد انه الباكى ، مما تراه مفصلا بعد ، فآثر الهجرة ، لا يزمع رجعة ، بعد أن يئس من تحرير وطنه ، وصلاح أهله ، وألى ذلك يشير بقوله :

ولو أن أرضى حرة لأتيتها   بعزم يعد السير ضربة لازب

ولكن أرضى كيف لى بفكاكها
من الأسر فى أيدى العلوج الغواصب
أحين تفانى أهلها طوع فتنة
يضرم فيها ناره كل حاطب

ب — الحالة السياسية فى الأندلس

فى سنة ١٣٨ للهجرة أسس عبد الرحمن الداخل دولة أموية بالأندلس ، تعدّ من أزهى دول الاسلام حكما ، وأعظمها حضارة . وقد امتد حكمها حتى سنة ٤٢٢ للهجرة، ثم أخذ عقدها ينتثر، فتغلب فى كل ناحية منها متغلب من الولاة والقواد ، ولقب نفسه بما حلا له من ألقاب الخلافة ، تشبها بخلفاء المشرق ، مثل المعتمد والمعتضد والمأمون والمعتصم وغيرهم ، ممن يسمون بملوك الطوائف ، وفيهم يقول الشاعر :

مما يزهدني فى أرض أندلس — أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها — كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

تدابر هؤلاء الملوك وجدّ كل منهم فى ثل عرش الآخرين ، فوهنت قواهم ، وذهبت هيبتهم من قلوب أعدائهم .

اهتبل الأسبان الفرصة فأخذوا يثلون عروش هؤلاء الملوك المتدابرين عرشا بعد عرش ، وقصد طاغيتهم ألفونس إلى أشبيلية وفيها المعتمد بن عباد ، فلما رأى أن لا قبل له به استعان بسلطان المغرب يوسف بن تاشفين ، فأظهره عليه ، ولكنه ما عتم أن سلبه ملكه ، واعتقله بمراكش فما زايل معتقله حتى مات . وبذلك أصبحت الأندلس ولاية تابعة لسلطان المرابطين بمراكش

ولقد كان المعتمد بن عباد هذا ممن قصد إليه ابن حمديس في اشبيلية واختصه بكثير من مدائحه

حـ — الحالة السياسية في افريقية

إفريقية (تونس) من البلاد التي نزح إليها ابن حمديس بعد أن زايل الأندلس ، أثر سقوط دولة بني عباد على يد المرابطين كما مر بك

فتح المسلمون هذه البلاد سنة ٤٥ للهجرة ، وتتابع عليها الولاة حتى قامت بها الدولة الأغلبية ، وبقيت إلى أن أزالتها الفاطمية سنة ٢٩٧ للهجرة . ولما أتاح الله لرابع خلفائهم (المعز لدين الله) فتح مصر اتخذ القاهرة مقر الخلافة الفاطمية ، وأناب

عنه (أبا مناد باديس) فى ولاية إفريقية، فاستطاع بحذقه وكفايته أن يستقل بأمورها. وكان من أحفاده الأمير تميم بن المعز وابنه يحيى ثم على بن يحيى، الذين وفد ابن حمديس عليهم، وامتدحهم واستندى أ لفهم، فأجزلوا له العطاء.

وأسرة بنى باديس تمت فى نسبها إلى قبيلة صنهاجه، إحدى قبائل اليمن التى نزحت إلى المغرب

هكذا يرى بعض المؤرخين، ولكن بعضهم يعدها من برابرة المغرب، وابن حمديس يؤيد الرأى الأول بقوله من قصيدة يمدح بها الأمير يحيى بن تميم:

طاهر الأخلاق، مألوف العلا

طيب الأعراق، مصقول الحسب

فى نصاب لم يزل من حمير

مُعْرِقا فى كل قوم منتَجَب

وقد زال ملك بنى باديس باستيلاء النرمنديين على بلادهم سنة ٥٤٣ للهجرة.

الحالة الاجتماعية التى كان يعيش فيها

وأثرها فى شعره

قبل الكلام عن الحال الاجتماعية فى صقلية والأندلس والمغرب هذا العصر فى شىء من التفصيل نريد أن تقفك على أمرين جديرين بالنظر :

(١) أن الحال الاجتماعية فى هذه البلاد تشبه فى كثير من النواحى حال الممالك الشرقية فى العصر العباسى الثانى ، أى بعد عهد المتوكل

(٢) أن أهل هذه البلاد كانوا يحتذون المشارقة فى علومهم وآدابهم وأخلاقهم . فلا يكاد يظهر علم أو فن ، أو تفشو عادة أو خلق بين المشارقة ، حتى تجد نظيره بعد بضع سنين بين المغاربة ، لأن المشارقة منهم بمنزلة الأصل من فرعه ، والوالد من ولده ، يطمئن إلى رأيه ، ويهتدى بهديه

والآن نستطيع أن نصف لك الحال الاجتماعية فى شىء من التفصيل فنقول :

١ — الحال الاقتصادية

صقلية جزيرة فى الجنوبى الغربى من إيطاليا، خصبة التربة متفجرة الأنهار، ذات جنات عالية، ووديان ممرعة، وأشجار ملتفة. هذا إلى أنها طيبة الهواء، صافية أديم السماء. فلا عجب أن يدر حلابها ويغنى ذبابها، وأن يراها ابن حمديس جنته التى أخرجه عسف الأعداء منها:

ذكرت صقلية والأسا يجدد للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنة فانى أحدث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البكاء حسبت دموعى أنهارها

فأما بلاد الأندلس فتشبه صقلية فى خصب ثراها، وتدفق أنهارها، وجمال طبيعتها. لذلك عظمت ثروة أهليها، وقامت لهم حضارة زاهية

وأما أفريقية فلا تبلغ شأو الأندلس: لطبيعتها الصحراوية، وسذاجة الحياة فيها.

٢ — الحال الفكرية

إن بين الحال الاقتصادية والفكرية فى بلد ما سببا أى سبب

إذ ليس من الطبيعي أن يُعمل الناس أفكارهم ، ويكدوا قرائحهم لابتكار علم أو أخراج فن، إلا بعد أن يأمنوا على أسباب عيشهم، وموارد أرزاقهم . لذلك كان طبيعياً أن تصبح الأندلس وصقلية بيئة علمية أدبية ، للعلوم والفنون فيهما سوق نافقة

هذا إلى أن فى انقسام المملكة الأندلسية إلى دويلات صغيرة ما أذكى نار الغيرة والتنافس فى قلوب الملوك ، فأخذوا يتسابقون فى تقريب العلماء ، وتشجيع الأدباء . ومما حفز هؤلاء الملوك فى هذه السبيل إلمامهم أنفسهم بكثير من العلوم والفنون ، ولقد حدث مثل ذلك عند المشارقة عصر البويهيين كما أشرنا أول المقال .

ولا تقصر صقلية عن الأندلس فى هذه المضمار: فقد نبغ فيها كثير من العلماء الأعلام ، فى علوم الدين واللغة ، كما ظهر بها الكتاب البارعون كجوهر الصقلى ، والشعراء المفلقون كابن حمديس الذى نترجم له .

وعلى الجملة كانت الحال الفكرية فى الغرب لا تقل عن نظيرتها فى الشرق: رفعة منزلة ، وسمو مكانة

٣ — الحال الخلقية

إن الضعف العام الذى ظهر أثره فى الممالك الاسلامية الشرقية، سرت عدواه إلى الممالك الغربية ، وبخاصة صقلية والأندلس ، فمال الناس هنا وهناك إلى جانب العيش المترف ، وتواصوا بالحرص على لذاذات الحياة ومناعمها ، يطوّع لهم ذلك ما فى وجوههم من صباحة وملاحة، وما فى طبيعة بلادهم من سحر وفتنة ، وما تدُرّ به مرافق الحياة بين أيديهم من وفر وثراء . فكان التشبيب والغزل بالنساء ثم بالغلمان ، وكانت مجالس الشراب والغناء تعقد فى ظل الكبراء والرؤساء . كما فشت الأباحية بين الناس، حتى صار صلاحهم ميئوساً منه . وكأنما كان ابن حمديس يستملى البيئة التى تكتنفه إذ يقول :

باكر إلى اللذات واركب لها   سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى   ريق الغوادى من ثغور الأقاح

ولقد كان للاستهتار بالمجون ، وفساد الشئون السياسية ، أثرهما فى أخلاق العامة ، فتفرقوا طرائق ، واستطال الأقوياء منهم على الضعفاء ، وفشا التملق والنفاق ، وفسدت الأخلاق

العربية لضعف الوزاع الدينى ، فكان ذلك نذيراً باسترداد الأسبان كثيراً من أراضيهم المسلوبة ، وأن ينكل النرمنديون بعرب صقلية أشد تنكيل ، كما مر بك

وبحسبك أن تقرأ هذين البيتين لابن حمديس فإنه يصور لك فيهما ناحية من الحال الخلقية فى هذا العصر

وقد بدلت بعد سراة قومى ذئابا فى الصحابة لا صحابا
وألفيت الجليس على خلافى فاست مجالسا إلا كتابا

٢

حياته وبيئته ، وأثرها فى شعره

٤٤٧ — ٥٢٧ هـ

١ — قبيلته ونسبه :

ابن حمديس عربى الجنس واللسان ، يتصل نسبه بالأزد إحدى قبائل كهلان ، من عرب اليمانية . جلا كثير من بطونها إلى المغرب والأندلس إبان الفتح الاسلامى وبعده

وقد نسبه ابن خلكان بقوله : هو أبو محمد عبد الجبار

ابن أبى بكر بن محمد بن حمديس [١] : ولم يذكر بقية نسبه إلى الأزد، كما لم يذكره أحد ممن ترجم له

ولقد كان ابن حمديس شديد التعصب لقبيله ، تحس تعصبه لليمانية فى شعره وهو يمدح المعتمد بن عباد وولده الرشيد ، ويحيى بن تميم وابنه عليا ، إذ ينتظمهم وإياه قبيل واحد . فتراه يكد قريحته فى استنباط المعانى البديعة ، وتصوير الأخيلة الرائعة ، ولا يفوته أن يذكرهم بما بينه وبينهم من عصبية عتيدة ، ورحم واشجة ليكون ذلك أدعى إلى حدبهم عليه ، وإكرامهم مثواه

فاستمع إليه وهو يمدح الرشيد بن المعتمد ويهنئه بالعيد بقصيدة طويلة يختمها بقوله

لولاك يابن الغرّ من يعرب   لم تلج الآمال باب النجاح
ولا تلقَّى الفوزَ إذ سوهموا   بنو القوافى من مُعلَّى القداح
فانعم بعيد قد أتى ناظما   كل لسان لك فيه امتداح
فقد أرتنا فى ابتذال اللُّها   كفُّك أفعالَ المُدَى فى الأضاح

---

(١) ذكر ابن خلدون فى تاريخه اسم حمديس من رجالات العرب الذين خرجوا على ابراهيم بن الأغلب بتونس ، فهل لهذا الاسم علاقة بالمترجم له ؟

٢ — ميلاده واسمه وكنيته :

ولد ابن حمديس في مدينة «سرقوسة» من جزيرة صقلية أواخر حكم المسلمين بها حوالى سنة ٤٤٧ للهجرة ، وسمى عبد الجبار ، وكنى أبا محمد . أما ابن حمديس فاسم غلب عليه وعرف به ، وليس حمديس أبًا له على الحقيقة ، وإنما هو أحد أجداده ، وإذا صح ما لاحظنا من أن حمديس هذا هو الذى خرج على ابن الأغلب فى تونس رجحنا أنه لم يكن الجد الثانى له على ما ذكره ابن خلكان ، وإنما كان أعلى من ذلك .

٣ — أسرته وتربيته :

لقد استفتحنا مغاليق التاريخ علنا نظفر بما يقشع ذلك الظلام الذى اكتنف أسرة بن حمديس ، فلم نظفر بشيء ، ثم حاولنا (فى غير تقصير) أن نلم بطرف من تربيته وتعليمه فى مظانهما من كتب التراجم ، فما كنا أكثر توفيقاً . والحق أن هذا يثير العجب ، ويؤسف كل غيور على الأدب ، ولكنه إن حال بيننا وبين ما نشتهى راوين ، فلن يحول بيننا وبينه مستنبطين .

إذا كان المألوف أن تعرف النتائج بمقدماتها ، فليس غريباً

أن تعرف المقدمات بنتائجها ، وبين أيدينا الآن ديوان ابن حمديس نقرأ فيه عقلا مثقفاً ، ونفساً مهذبة ، ووجداناً حياً شاعراً ، كما نلمح بين سطوره احتذاءه كبار شعراء المشرق : جزالة لفظ ، وبراعة أسلوب ، فهل يكون ذلك إلا ثمرة الدرس ، ووليد التعليم ؟

وأمر آخر ينبغى ألا ننساه : ذلك هو ترفعه عن الهجاء ، على الرغم من فساد بيئته ، كما عرفت وحاجته ألى لسانه الذرب يردبه عدوان العادين

إنى امرؤ لا ترى لسانى منظما ما حييت هجوا

ثم نزعته الدينية وسط تلك الحياة الخليقة الماجنة ، فقد كانت توحى أليه فى فترات آيات الأيمان بينات ، وعظات الحياة بالغات ؛ أفلا ينهض كل ذلك دليلا على أنه نشىء تنشئة دينية عالية ، فى بيت نابه غير خامل ؟ الحق أننا نطمئن ألى هذا الرأى على الرغم من شعره الغزل ، وقصيده الماجن .

٤ — رحلاته :

عرفت فيما عرفت ما نال الأسر العربية بجزيرة صقلية على أيدى النرمنديين الفاتحين من ألوان العسف وصنوف العذاب مما

أهاب بابن حمديس من وطنه المحبب إليه هجرة لا قال ولا سال . ولى وجهه شطر الأندلس سنة ٤٧١ للهجرة ثم حط رحاله فى أشبيلية عصر ملكها المعتمد بن عباد . قصد إليه من دون ملوك الطوائف لحذقه قرض الشعر ، وشدة ولوعه بالأدب ، فاعله خير من تروج لديه بضاعة الأدب المزجاة . وقد لبث مدة لايؤبه له ، ولا يُفطن إليه حتى قنط لخيبته مع فرط تعبه ، وهم بالنكوص على عقبه كما حكى عن نفسه . ثم بسم له الدهر بعد عبوس ، واسترعى نظر ابن عباد ، فألحقه خدمته . وله فيه وفى ابنه الرشيد المدائح الغالية ، كما كان له منهما العطاء الجزيل

ولما استصرخ ابن عباد يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين بمراكش على ألفونس ملك الأسبان كما مرّ بك ، أصرخه وهزم ألفونس ، ولكنه طمع فى أشبيلية فانتظمها فى سلطانه ، واعتقل ابن عباد فى قلعة (أغمات) بمراكش حتى وافاه أجله

ولقد أوفى له ابن حمديس فى معتقله ، فكان يبعث إليه بالمقطوعات من شعره يودعها حسرة نفسه ، ومحبة قلبه ، وحسن تأسيته . فمن ذلك قوله :

أتيأس من يوم يناقض أمسه وشهب الدرارى فى البروج تدور

ولما رحلتم بالندى فى أكفكم وقلقل رَضوى منكم وثَبير

رفعت لسانى بالقيامة قد دنت فهذى الجبال الراسيات تسير

ولقد كان لجمال الطبيعة فى صقلية والأندلس أثره فى خيال ابن حمديس فأتاح له من الصور الرائعة ما يدانى الحس، ويعجب النفس

ولما توفيت آمال ابن حمديس فى الأندلس بوفاة المعتمد، أحياها بسفرة إلى إفريقية، وألقى عصاه بالمهدية، مقر ملك بنى باديس، فاتصل بالأمير تميم بن المعز، وابنه يحيى، وحفيده على. وكان حظياً عند ثلاثتهم، فأحسنوا وفادته، واشتروا منه أطيب الحمد بجزيل الرفد

ثم قصد بعد ذلك إلى جزيرة ميورقه لسبب لم تسعدنا بمعرفته كتب التراجم، فكانت له آخر رحلة تلتها رحلته الكبرى إلى الدار الآخرة

ولم يكن ما غمره به آل عباد وآل باديس من نعمة، وما أسبغوه عليه من فضل ليلفته أن يشتاق بلده المنكوب، ويحن إلى وطنه المحبوب. فاستمع إليه إذ يقول:

وراءك يابحر لى جنة لبست النعيم بها لا الشقاء
إذا أنا حاولت منها صباحاً تعرضت من دونها لى مساء
فلو أننى كنت أعطى المنى إذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقاً إلى أن أعانق فيها ذكاء

٦ — أخلاقه وصفاته :

ابن حمديس من ذوى الأمزجة السوداوية الحزينة ، وأكبر الظن أن هذا المزاج اشتد أثره فيه بتوالى الأحداث عليه ، فقد رعبه نكبة وطنه ، ومصرع قومه ، فخالف نفسه الحزن وسكنت إليه ، وظلت عصية بعد رحيله أن يستخفها رقة العيش وبهجة الحياة وليس لك أن تحاول نفى ذلك بما تلمحه عند وصفه الراح من هزة وارتياح ، فما هى إلا رقصة المذبوح ، أو بما يشجوك إذ تتلو بشعره الغزل من أنغام يخطئها الناى والعود ، فما هى إلا أنة المفئود ، على أن ابن حمديس نفسه يؤيد ذلك بقوله :

كأن الدهر محسنه مسىء فما يجزى على عمل ثوابا
ولو أخذ الزمان بكف حر لكان بطبعه أمراً عجابا
يجر على شرب الراح هما ويورث قلبى الشدو اكتئابا

وفى خلق الزمان طباع خلف   يمرّر فى فمى النُّغب العِذابا

فهل يعوزنا الدليل بعد إذ أنبأنا أن شرب الخمر يجر عليه الهم ، وأن سماع الغناء يورث قلبه الكآبة والحزن

ولقد كان الوفاء له خيما ، لا يتخلى عنه ولو حزبه الأمر ، وضاقت فى عينه فرجة الحياة . وفى المعتمد كما عرفت بعد إذ سُلِب ملكه ، وغلب على أمره ، وأصبح فى معتقله لا يُحلي ولا يُمرّ . ولعله كان يحتمى بشبه العذر لو زينت له نفسه انتجاع غيره طلباً لجدواه ، ولكنه أبى لكرم نجاره أن يخفر به أو يكفر بنعمته.

وإذا علمت أن خطة الهجاء دين لجمهرة الشعراء ، وقل منهم من تعالى بنفسه عن هذه الخطة العوجاء ، فاعلم أن ابن حمديس من هؤلاء النفر القليل ، يسمع هجوه بأذنه فيعرض عنه ويمرّ به كريماً ، لا عيًّا ولا حَصرًا . سمّ ذلك منه إن شئت كبراً ، أو اعتداداً بالنفس ، أو عفة لسان ، فانك لن تقع من ذلك الا على نعوت تزيده فى عينك إجلالا ، وفى نفسك إكباراً . ثم استمع لهذه النفس العالية وهى تقول :

وما أنا ممن يرتضى الهجو خطة

على أن بعض الناس أصبح يهجونى

أسالم من ألفيت قدرى كقدره
وأعظم من فوق وأحقر من دونى
ولو شئت يوما لانتصرت بقول
يُحيل على الأعراض حد السكاكين

ولقد كان ابن حمديس معمور القلب بالإيمان ، شديد الغيرة على الاسلام ، تشعرك بعض مقطوعاته نوعا من الزهادة يكاد ينتظمه فى سلك المتنسكين . ولعلك سائلى ، كيف يجمع فى قَرَن واحد بين الزهادة والمعاقرة . فقد نعت الخمر نعت الخبير بها ، العليم بأوصافها ، وأغرق فى ذلك إغراقا يُغرى بها الشاربين وينبه إليها الغافلين

فأجيبك . إنى وإن لم أبرىء ابن حمديس من تهمة الشراب بتأثير بيئة الأندلس الفاسدة أميل إلى أنه كان لا يُدمنه ، وأن نبوغه فى خمرياته ناله عن طريق الصنعة الشعرية والدرس الأدبى، شأنه فى فنه الغزلى كما سترى فى المقال الثالث عند الكلام عن أدبه . وكان قلبه المؤمن يوقظه من سبات اللهو والغفلة فى فترات مختلفة فينطق فى بعض قصيده بمثل الأبيات الآتية

وغرّتك دنياك إذ فوضت ... إليك أمانيها الكاذبه

أصاحبة خلتها ؟ إنها ... بأحداثها بئست الصاحبه

أماسلبت منك برد الشباب ... فهل يسترد من السالبه

وإن دقائق ساعتها ... لعمرك آكلة شاربه

وإن المنية من نحوها ... عليك بأظفارها واثبه

ألم ترها بحصاة الردى ... لكل حميم لها حاصبه

كأن لنفسك مغنيطساً ... غدت للذنوب به جاذبه

فياحاضراً أبداً ذنبه ... وتوبته أبداً غائبه

أذب منك قلباً تجارى به ... سوابك عبرتك الساكبه

على كل ذنب مضى فى الصبا ... وأتعب إثباته كاتبه

عسى الله يدرأ عنك العقاب ... وإلا فقد ذمّت العاقبه

ومما يؤخذ به ابن حمديس غلوه فى التعصب لقبيله . تكاد تلمس ذلك فى مدائحه لآل عباد وبنى باديس كما عرفت . والعجب أن هذا التراث الجاهلي استطاع أن يتخطى خمسة قرون ، ويعيش مع ابن حمديس فى جو لا يلائم عيشه ، جو المدنية والحضارة ،

ويمتاز ابن حمديس برقة القلب ، وشدة الحدب على أهله .

ولعل لكوارث الدهر وآلام الغربة أثرهما فى ذلك

توفيت عمته بسفاقس ، فرثاها بقصيدة باكية ، نذكر منها الأبيات الآتية

ألم تأت أهلَ الشرق صرخةُ نائح
يُفيض غروب الدمع من بلد الغرب

سقى الله قبراً ثائراً بسفاقس
سواجمَ يرضي الترب فيها عن السحب

فقد عمةُ الاعظام من قبر عمة
أنوح عليها بالنحيب إلى النحب

بدمع يمد البحر فى السيِّف بحره
إذا الحزن منه واصِل السكب بالسكب

ولو آمن الإغراق ضعفت سحه
ولكن قلبي الرطب رقّ على قلبي

فما أرق قوله : إن قلبه الرطب رق على قلبه . وكأن رقة قلبه هذه ونفسه الحزينة أوحتا إليه أن يتبرم بالشيب ، ويكثر التحنان إلى عهد الشباب ، ويود لو يرتدي برده جديداً .

فاسمعه وهو يقول بعد وصف لبانات الصبا ومآرب الشباب

كان ذا كله زمان شباب   كنت فيه على الدمى بالخيار

هل تردّ الأيام حسنى ومن لى   بكمال الهلال بعد السرار

وقد تألقت كواكب الشيب فى رأس ابن حمديس ولمَّا يعبر جسر الشباب فقال يوضح سبب ذلك

لَشيَّبنى فى عنفوان شبيبتى   لقائى من الأيام دهياء فادحه

وقطعىَ غولَ القفر فى مَتن سابح   وخوضى هول البحر فى بطن سابحه

٣
أدب ابن حمديس

١ — ديوانه :

لا نعرف لابن حمديس من الآثار الأدبية غير ديوانه الذى يقع فى زهاء خمسمائة صفحة ، وهو مع ذلك غير ذائع فى الشرق ذيوع غيره من دواوين الأدب . نشر فى رومة مطبوعا على ورق جيد ، بحروف جميلة متقنة . لكنه كثير التحريف والخطأ ، لم يعن ناشره

أن يصدره بالمقدمات والفهارس التى اعتاد الغربيون أن يقدموها بين يدى ما ينشرون من كتب العربية . ولعل ذلك لأنه لم يكن معنياً بغير نشره . ولكن لهذا الناشر مع ذلك يداً على الأدب العربى وعلى ابن حمديس لا تجحد . فقد صان هذا الأثر الجليل أن تاعب به يد الأيام ، ولم يأل جهداً فى معارضة النسخة المطبوعة بنسخ أخرى مخطوطة ، لم يسلم جميعها فيما نرى من سقم واعتلال

٢ — التقسيم التاريخى لشعره :

نعرف شعر ابن حمديس فى طورى شبابه وهرمه ، أما شعره أول شبابه فلم نقف على شىء منه ولعله لم يحفل بتدوين شعره قبل أن يغادر صقلية ، ولو أن حسن الجد أتحفنا بأثارة منه ، لكان فى طوقنا أن ندرس نفسه وعقله وبيئته ، وأن نقف على البواعث الأولى التى هاجت خواطر الشعر فى نفسه الشاعرة ، وكان فى متناولنا أن ندرس باكورة هذا الشعر لنخرج منه بحكم صائب يرد النتائج إلى مقدماتها . فانا نرى لابن حمديس شعراً قوياً فى شبابه وكهولته ، يدل على قوة استعداد للشعر ومرانة عليه ، واضطلاع بالأدب العربى: معانيه وأساليبه، من فجر حياته . وإنا لمقدمون بين

يديك من حياة ابن حمديس دليلا على توقد قريحته وسرعة خاطره وروعة خياله وهو بعدُ في شرخ الشباب ، مما فتح الله به عليه أبواب النعمة ، ومهد له بسببه سبيل الرفاهة

قدمنا لك أنه لما انتجع ابن عباد بإشبيلية ، لم يفطن إليه بادىء بدء ، فقنط لخيبته ، من فرط تعبه ، وهم بالنكوص على عقبه ، ولكن الله كشف عنه الكربة ، وأتاح له الفرجة بغلام السلطان يستقدمه إليه ، فلما كان في حضرته ، أجلسه على حشية فَنَك ، وقال له : افتح الطاق التي تليك ، ففتحها وإذا كور من زجاج تلوح النار من بابيه ، وواقده يفتحهما تارة ، ويسدهما أخرى ، ثم أطال سد أحدهما ، فلما تأملهما ابن حمديس

قال له المعتمد : أجز

«أنظرهما في الظلام قد نجما» فقال : «كما رنا في الدجنة الأسد»

فقال المعتمد :

«يفتح عينيه ثم يطبقها» فقال : «فعل امرىء في جفونه رمد»

فقال المعتمد:

«فابتزه الدهر نور واحدة» فقال : «وهل نجا من صروفه أحد»

فسر المعتمد منه ذلك ، وسرعان ما ألحقه خدمته ، وأدنى منه منزلته .

ومعظم شعر ابن حمديس فى كهولته جيد ، كمدائحه فى المعتمد وولده ، وتميم ابن المعز وابنه وحفيده . أما شعره فى الشيخوخة فقد ظهر فيه الضعف ، وخبا خياله فى جمال الاخراج وروعة التصوير

٣ — متناول كلامه :

يحتوى ديوان ابن حمديس زهاء ستة آلاف بيت من الشعر . منها ثلاثة آلاف بيت فى المديح ونحو مائة وألف بيت فى الوصف ، وسبعمائة فى الغزل ، وستمائة فى الرثاء ، وخمسين وثلثمائة فى الفخر والشكوى

وإذا عرفت أن أقسام الشعر الطبيعى ثلاثة وجدانى ، ومادى ، وعقلى علمت مما تقدم أن ليس لابن حمديس شىء من الشعر العقلى ، وهو الفلسفى الحكمى ، وإنما تنطوى فنونه التى عالجها فى نوعى الشعر الوجدانى والمادى الوصفى . فمديحه ورثاؤه وفخره وشكواه وغزله كلها من الشعر الوجدانى . وأوصافه طبعيها ومصنوعها من الشعر المادى التصويرى وسنختص كل فن من هذه الفنون بكلمة

١ — الوصف

أهم الفنون التى برع فيها ابن حمديس ، فكان جديرا أن يحمل لواء الزعامة بين شعراء هذا الفن ، وأن يلقب بحق الشاعر الوصاف وإن كان له فى غير الوصف كثير ، لأن هذه الكثرة لا تلفتنا عن حقيقة واقعة ، هى مداخلة الوصف من شعره سائر الفنون ، وابن حمديس مصور صناع ، فى طوق خياله أن يخرج لك من الصور الأنيقة ، والمناظر البديعة ، ما تخرجه يد المصور الحاذق من مناظر الطبيعة ، والأشياء المصنوعة . تناول فى وصف الطبيعة السماء والماء ، والروضة الغناء ، والبادية التيهاء . كما تناول السحب برقها ورعدها ، وغيثها وأنهارها ، وكذلك الأبل والجياد ، وكواسر الآساد . ووصف من الأشياء المصنوعة القصور الشامخة ، وما فيها من أدوات الزينة ، وأسباب الترف ، ثم المعارك وأدوات القتال : كالسيف والرمح والأسطول ، كما وصف الخمر ومجالس الشراب

ويمتاز ابن حمديس بين الشعراء الوصافين بميزة قلما نجدها فى شعراء العربية ذلك أن قوة الخيال عنده ليست مقصورة على تصوير المعانى الجزئية ، شأن كثير من شعراء العربية ، بل يستطيع بها أن يصور الأمور الكلية والمناظر العامة . يظهر ذلك واضحا

فى وصفه قصر المنصور بن أعلى الناس ببجاية ، فقد استطاع أن يصور مناظر القصر تصويرا كاملا ، كما صور البحترى البركة المتوكلية وما يحيطبها، وإيوان كسرى وما يحتويه، ومن أحسن أوصافه.

١ — قوله يصف الطبيعة :

نثر الجوّ على الأرض بَرَدْ	أى درّ لنحور لو جَمَد
لؤلؤ أصدافه السحب التى	أنجز البارق منها ما وعد
منحته عارياً من نكدٍ	واكتساب الدر بالغوص نكد
ذوبته من سماء أدمع	فوق أرض تتلقاه نَجَد
فجرت منه سيول حولنا	كثعابين عجال تطَّردْ
وترى كل غدير متأقٍ	سبحت فيه قوارير الزبدْ
من يعاليل كبَيْض وُضعتْ	فى اشتباك الماء من فوق زرد
أرّق الأجفانَ رعد صوته	كهدير القَرْم فى الشول صفد
بات يجتاز بأبكار الحيا	بلدا يُرويه من بعد بلد
فهو كالحادى روايا إن ونت	فى السُّرى صاح عليها وجلد
وكأن البرق فيها حاذف	بضرام كلما شُبَّ خمَدْ
تارة يخفو ويخفى تارة	كحسام كلما سلّ غُمد

يذعَرُ الأبصار مُحمرًّا كما قلب الخِمْلاقَ فى الليل الأسد

وعليل النبت ظمآن الثرى عرّج الرائد عنه فزهد

خلع الخصب عليه حللا لبديع الرّقم فيهن جُدَدْ

وسقاه الرىّ من وكافةٍ فتح البرقُ بها الليل وسدّ

ذات قطر داخل جوف الثرى كحياة الروح فى موت الجسد

فتثنى الغصن سكرا بالندى وتغنى ساجع الطير غرد

وكأن الصبح كف حلّت من ظلام الليل بالنور عُقَد

وكأن الشمس تجرى ذهبا طائراً فى صيده من كل يد

٢ — وقوله يصف الخمر والروض :

نحن فى جنة نباكر منها ساحلَىْ جدول كسيف مجرّد

صقلت متنه مَدَاوِسُ شمس من خلال الغصون صقلاً مجدّد

ومدام تطير فى الصحن سكرا فتُحل العقود منها وتعقد

جسمها بالبقاء فى الدّن يبلى وقواها مع الليالى تَجَدَّدْ

وإذا الماء غاص فى النار منها أخرج الدّر من حَبَاب منضّد

يا لها من عصير أول كرم سكر الدرّ منه قِدْماً وعربد

جنة مجّت الحيا إذ سقاها مُصاحٍ من غمامه غير مفسد

قد لبسنا غلائل الظل فيها ... مُعلَمات من الشعاع بعسجد

ورأينا نارنجها فى غصون ... هزّت الريح خصرها فهى ميد

ككرات محمرة من عقيق ... تدّريها صوالج من زبرجد

وكأن الأنوار فيها ذبال ... بسليط من الندى تتوقد

وكأن النسيم بالفرج يُغشى ... بين روضاتها سرائر خرّد

حيث نسقى من السرور كؤوساً ... ونُغنّى من الطيور ونُنشد

ذو صفير مرجّع أو هديل ... أسمعتم عن الغريض ومَعْبد

شاديات تمسى الغصون وتضحى ... رُكّعاً للصبّا بهن وسجّد

كان ذا والزمان سمح السجايا ... ببوادٍ من الأمانى وعُوّد

والصبّا فى معاطفى وكأنى ... غصنٌ فى يد الصبّا يتأوّد

٣ — وقوله فى وصف الخيل :

ومجرٍّ فى الأرض ذيل عسيبه ... حمل الزبرجدُ منه جسم عقيق

يجرى ولمح البرق فى آثاره ... من كثرة الكبوات غير مفيق

ويكاد يخرج سرعةً من ظله ... لو كان يرغب فى فراق رفيق

وله فى وصفها أيضا

ومديد الخُطا كأنك منه ... تضع اللِّبد فوق تيّار سيل

قيدُ وحش بلا ذخائر وَهنّ ... وقرى معقل وحارس ليل

أسبق الريح فوقه فإذا ما ... فتُها أمسكت بفضلة ذيل

٤ — وقوله يصف الأسد :

وليث مقيم فى غياض منيعة ... أمير على الوحش المقيمة فى القفر

يوسّد شبليه لحوم فوارس ... ويقطع كاللص السبيل على السفْر

هزبْر له فى فيه نار وسعْرة ... فما يشتوى لحم القتيل على الجمر

سراجاه عيناه إذا أظلم الدجى ... فإن بات يسرى باتت الوحش لا تسرى

له جبهة مثل المجن ومعطس ... كأن على أرجائه صبغة الحبر

يصلصل رعد من عظيم زئيره ... ويلمع برق من حماليقه الحمر

له ذنب مستنبط منه سوطه ... ترى الأرض منه وهى مضروبة الظهر

ويضرب جنبيه به فكأنما ... له فيهما طبل محيص على السكرْ

ويُضحك فى النعيس فكيه عن مدى ... نيوب صلاب ليس تهتم بالفهرْ

يصول بكف عرض شبرين عرضها ... خناجرها أمضى من القضُب البتر

يجرد منها كل ظفر كأنه ... هلال بدا للعين فى أول الشهر

٥ — قوله من قصيرة طويلة يصف فيها الطبيعة ويشتاق وطنه

وريح خفيفة روح النسيـــــم أطّت بليلا وهبت رخاء

سرت وحياها شقيق الحياة　　على ميت الأرض تُبكى السماء
فمن صوت رعد يسوق السحاب　　كما يُسمعُ الفحل شولا رغاء
وتشعل فى جانبيها البروق　　بريق السيوف تُهَزُّ انتضاء
فبتُّ من الليـل فى ظلمة　　فياغرة الصبح هاتى الضياء
ويا ريح إمّا مرّيت الحيا　　ورويت منه الربوع الظماء
فسوقى الى جهام السحاب　　لأملأهن من الدمع ماء
ويسقى بكائى ربع الصبا　　فما زال فى المحل يسقى البكاء

٦ — وقوله فى وصف قصر ابن أعلى الناس :

قصر لو انك قد كحلت بنوره　　أعمى لعاد إلى المقام بصيرا
واشتُقّ من معنى الحياة نسيمه　　فيكاد يحدث للعظام نشورا
نُسِىَ الصبيح مع المليح بذكره　　وسما ففاق خورنقا وسديرا
ولو ان بالإيوان قوبل حسنه　　ما كان شيئاً عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الألى　　رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا　　لملوكهم شبهاً له ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا　　غرفا رفعت بناءها وقصورا

فالمحسنون تزيدوا أعمالهم ورجوا بذاك جنة وحريرا
والمذنبون هُدُوا الصراط وكَفَّرتْ حسناتهمُ لذنوبهم تكفيرا
فلك من الأفلاك إلا أنه حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظر ثم انثنيت بناظرى محسورا
وظننت أنى حالم فى جنة لما رأيت الملك فيه كبيرا
وإذا الولائد فتحت أبوابه جعلت ترحب بالعُفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكشيرا
فكأنها لَبَدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا
تجرى الخواطر مطلقات أعنة فيه فتكبو عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب أنه فُرِش المَهَا وتوشح الكافورا
ومحصَّب بالدّر تحسب تربه مسكا تضوع نشرُه وعبيرا
يستخلف الإصباح منه إذا انقضى صبحاً على غسق الظلام منيرا
وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشّى النضار جسومها وأذاب من أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما أقعت على أدبارها لتثورا

وتخالها والشمس تجلو لونها نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه درعا فقدّر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناى بحر عجائب مسجورا
شجريةً ذهبية نزعت إلى سحر يؤثر فى النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكأنما قنصت لهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لواقع طيرها أن تستقل بنهْضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعدّ من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما فى كل غصن فضة لانت فأُرسل خيطها مجرورا
وتُريك فى الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جُعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الأبواب تبرا نظّروا بالنقش بين شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت فلك النهود من الحسان صدورا
خلقت عليه غلائلا ورْسيةً شمس ترد الطرف عنه حسيرا
وإذا نظرت الى غرائب سقفه أبصرت روضا فى السماء نضيرا

وعجبت من خطّاف عسجده التى | حامت لتبنى فى ذراه وكورا
وضعت به صناعُه أقلامَها | فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه لِيقةٌ | مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما للأزورد مخرمٌ | بالخط فى ورق السماء سطورا
وكأنما وشّوا عليه ملاءةً | تركوا مكان وشاحها مقصورا
يا مالك الأرض الذى أضحى له | ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت | واستوجبت لقصورك التأخيرا
فقمرتها وملكت كل رياسة | منها ودمرت العدا تدميرا

٧ — ومن قوله يصف الاسطول :

والأساطيل فى الزواخر يرمى | بلدَ الروم غزوُها بالدمار
يابسات العيدان تثمر بالغيـــد إذا أورقت ببيض الشفار
راعفاتٌ القنا تلوِّنُ فيها | عذباتٍ كمثل مصحف قارى

٨ — وقال يصف الخمر ويأسى على أيام شبابه وقد احتذى
أبا نواس فى بعض معانيه :

حبذا فتيان صدق أعرسوا | بعذارى من سلافات الخمور
عربد الصحو عليهم بالأسا | فاتقاه السكر عنهم بالسرور

عمّروا ربْع الصبا من قبل أن ... يتمشى فيه بالشيب دثور
إن للأعمار أعجازاً إذا ... بلغت لم تثن منهن صدور
يقتنون العيش من قانية ... ذات عمر كثرت فيه الدهور
أطلع الساقى عشاء منهمو ... أنجم الكاسات فى أيدى البدور
عدّ بالأكواب عني إن لى ... فى يد الآنس عنهن نفور
عمر الشيب الدجى من لمتى ... بنجوم طُلّع ليست تغور
لانشور لشبابي بعد ما ... مات من عمرى إلى يوم النشور
وخضاب الشيب لا أقبله ... إنه فى شعرى شاهد زور
أنا من وجدى بأيام الصبا ... أذرف الدمع رواحاً وبكور
فكأني ذو غليل يلتظى ... لوعة منه إلى ماء الثغور
أصف الراح ولا أشربها ... وهى بالشدو على الشرّب تدور [١]
كالذى يأمر بالكر ولا ... يصطلى نار الوغى حيث تفور
فسواء بين إخوان الصفا ... وذوى اللهو مغيبى والحضور
أنا من كسب ذنوبى وجل ... وإن استغفرت فالله غفور

(١) مأخوذ من قول أبى نواس

فكأنى وما أزين منها ... قعدى يزين التحكيما

٩ — وقال يصف السيف [١]

وأبيض تحسب فيه الفرند ... يثير هباءً على جدول

فرند السيف رُبّدته وهي لون إلى الغبرة ، والهباء ما يرى منبثاً في ضوء الشمس داخل البيت أو دقاق التراب ، يشبه هذا السيف في صفاء مائه ، وما يعلوه من لون فرنده المغبر بنهر يعلو صفحة مائه هباء

إذا دعى الموت بالهز منه ... أجاب بصلصلة الجلجل

الجلجل : الجرس الصغير ؛ في دعى وأجاب طباق ، وفي دعى الموت استعارة ، يقول : إذا هززت هذا السيف أدعو به الموت لبى سريعاً بذلك الصوت الذى يحدثه وقع السيف في الضريبة

وماسل للضرب إلا أسال ... على خده أدمع المقتل

المقتل : الموضع يحدث فيه القتل ويراد به هنا الجرح القاتل وفي خده استعارة وكذلك في أدمع المقتل

انظر إلى هذا التصوير الرائع ، وذلك الخيال الساحر : إن

---

(١) هى أولى قطع النصوص الأدبية المقررة هذا العام ولهذا عنينا بالتعليق عليها

هذا السيف إذا سل أصاب المقتل من الضريبة فأسال أدمع جرحها على صفحته

ترى فيه عينك غول الحمام ... تهم بأكل يد الصيقل

الحمام : الموت . والصيقل شحاذ السيوف وجلاؤها — وفى غول الحمام تشبيه بليغ — يريد أن هذا السيف تكمن فيه غول الموت فتكاد تأكل يد صاقله عند ما يجلوه

وماء به شَرَقات الردى ... تميَّع فى قبس مشعل

الشرق : الشجا والغصة . وتميّع الشىء تسيّل . والقبس شعلة من نار .

ثم انظر أيضاً إلى هذه الصورة العجيبة التى جمعت أجزاؤها بين الأضداد . إذ تبصر فى صفحة هذا السيف ماء لا يروى الغلة ولا يذهب بالغُصّة بل أنه ماء يحتوى غصص الموت ، ويسيل من صفحة هذا السيف فى نار متقدة

تقلدنى إذا تقلدته ... ألا إننى مُنصُل المنصل

يريد أنه لا يقل مضاء عزيمة عن سيفه القاطع ، فلا غناء لأحدهما عن صاحبه عند الفتك بالأعداء . وما أروع قوله إنه سيف يتقلده سيف

ب — المديح

أكثر فنونه الشعرية عدد بيت ، وأغزرها معنى ، وأطولها قصيداً . وسبيله فيه أن يمهد له بالغزل أو وصف الخمر محتذياً الجاهليين فى الأولى ، والمحدثين فى الأخرى ، ثم يختمه بالطلب فى الغالب

والذى يلاحظ فى مدائح ابن حمديس احتواؤها كثيراً من الوصف ، وبخاصة الوصف الحماسىّ : من شجاعة وجرأة وأداة قتال ، ولعل ذلك لكثرة الحروب فى البيئة المحيطة به .

ونرى أن ابن حمديس ومن لفّ لفّه من شعراء العربية قد أخطئوا السبيل بسنّهم هذه المقدمات التى التزموها ، فما كانت صورتها فى الأسلام خيراً منها فى الجاهلية ، ونعتقد أن خيراً من ذلك ألا يلجأ الشعراء إلى هذه المقدمات جملة ، فان كان لابدمن مقدمةففى الأمور الطبيعية ، والشئون الاجتماعية العامة ، ما يغنيهم عن ملازمة الغزل والخمر .

أما ختم القصائد بالاستجداء ، فشر ما جنى الشعراء على

الأدب العربي ، إذ كان الوصمة يستخذى لها الأدب ، ويحشر بها الشعراء في زمرة المستجدين ، وما كان لهم أن يتخذوا الشعر متجراً وهو ثقافة العقول ، وغذاء الأرواح .

لهذا نرى الشعراء عند الغربيين قادة الجماعات ، ومرشدي الجماهير ، لم يسفوا بشعرهم إلى المدح ونحوه من تافه الأغراض ، بله الطلب والاستجداء .

ومن غرر مدائح ابن حمديس قوله في المعتمد بن عباد :

أنكرت سُقم مُذاب الجسد — وهو من جنس عيون الخُرَّد

وبكت فالدمع في وجنتها — كجُمان الطّل في الورد الندي

ما الذي يبكي بحزن ظبية — فتكت مقلتها بالأسد

والألباء الحور إما قتلت — لحظات العين منها لا تدى

غادة إن (ينط) منها موعد — بغد فر إلى بعد غد

هكذا عندي يجري مطالها — بخلاف عندها مطرد

وهي من عجب ومن تيه لها — كبد تُرحَم منها كبدي

ذات عين بالهوى نابغة — ضل في الحب بها من يهتدي

وهي نجلاء حكاها سعة — جرحها في كل قلب مُكمَد

لا يذوق المِيْل فيها إثمدا ما لأحداق المها والإثمد

قذفت حبة قلبى فى الهوا هل رأيت الجمر فى المفتأد

سحرها وحى بنجوى ناظر لا نفاث للنهى فى عقَد

ما لآس فى محب عمل غير داء الروح داء الجسد

خفى البرء على إطافه وهو فى بعض ثنايا العوَّد

إن فى ظَلْم ظلوم لجنَى شهَدٍ ، واها لذاك الشهَد

ذاب لى بالراح منها برد هل يكون الراح ذوب البرد

هاتها صفراء ما اخترت لها أفق الشمس على أفق يدى

خارج فى راحتى مقتنَص كل هم كامن فى خلدى

جرد المزج عليها صارما فاتقته بدموع الزَّبد

عتقت ما عتقت فى خزف برداء القار منه ترتدى

حيث أبلى جسمها لا روحها مر أيام الزمان الجدُد

ما أطاق الدهر أن يسلبها أرج المسك ولون العسجد

فاقض أوطار اللذاذات على نقر أوتار الغزال الغرد

فاحون العود والكأس لنا والندى والبأس للمعتمد

ملك إن بَدَأ الحمدُ به ختم الفخر به ما يبتدى

معرق فى الملك موصولا به   شرف المجد ومحض السودَد

من غدا فى كل فضل أوحدا   ذاك الأوحد كل العدد

من حمى الأسلام من طاغية   كان منه فى المقيم المقعد

وكست أسيافه عارية   ذل أهل السبت أهلَ الأحد

ذويد حمراء من قتلهمو   وهى عند الله بيضاء اليد

تقتدى الأملاك فى العدل به   وهو فيه بأبيه يقتدى

كيف لا يعلى على الناس العلا   مستمِدٌّ من علا المعتضد

عارض ينهلّ بالوبل إذا   كان للعارض كفّ الجلمد

وهصور يفرس القرن إذا   جرّد المرهف فوق الأجرد

قوّمت عزمته عن نيةٍ   من منار الدين ميل العمد

لا تامه فى عطاياه التى   إن ترم منهن نقصا تزدد

فنداه البحر والبحر متى   تعصف الريح عليه يزبد

ومحال تقلك الطبع الذى   كان منه فى كريم المولد

كم لُهام جرّ فى أوله   رمحه فهو له كالمقود

وليوث صال فيهم فانثنوا   وضواريهم له كالنقَدَ

بحسام مطفىء أرواحهم   بشواظ البارق المتقد

لعواريه على هاماتهم من شرار القدح ما في الزند
كم تغنى بالمنايا في الطُّلا فثناه عن مغاني معبد
وسنان مشرَع في صَعْدةٍ كلسان في فم الأيم الصَّدِي
في سماء النقع منه كوكب طالع في يَزَنّي أملْد
أبداً يدعو إلى مأدبة حوم الوحش ضحا بالقدفد
يا بني البأس من الذِّمر الذي جاء في كاهل عزم أيِّد
شيبِ الحربَ اقتحاما بعدما رُبيتْ في حجره كالولد
يرعف اللَّهذم في راحته كلما شمّ قلوب الأُسد
سمهريٌّ أحرقت شعلتُه كلّ روح في غدير الزرد
أنت ذاك الأسد الوَرْد فهل كان في رمحك سم الأسود
أعناق البُهَم استحسنته وهو بَرْد أم عناق الخُرّدِ
دمت في الملك لمغنى مادح ينظم الفخر وجدوى المجتدي
وبنات من فصيح مفلق يشهد الفضل له في المشهد
فهو بالأحسان في ألفاظها محسنٌ صيد المعانى الشُّرّد
في بيوت أذنت فيها العلا لك بالتقريظ في كل ندي
قد بناها من عروض فهي لا يعرض الهدم لها في المسند

فإذا أثنت عليكم فتقت   لكم مسك الثناء الأبدى
وإذا استحييت من المجد أتى   معربا عنها لسانُ المنشد

حـ — الرثاء

هو من الفنون التى لم يقصر فيها ابن حمديس ولم ينبغ فيها نبوغه فى الوصف والمديح . فرثاؤه الجيد وحى وجداته المتألم ، ورثاؤه الضعيف هو ما ألجأته الأحوال إليه دون أن يمس الحزن شغاف قلبه ، فجاء متكلفاً خلواً من التأثير

فاقرأ له رثاء جاريته جوهرة فلن تنتهى منه حتى يفعم قلبك بالأسى ، وتكاد تحس أنك أنت الفاقدها دونه ، كما تجد له مثل هذا الرثاء الباكى فى ابنته وزوجه وعمته وأبيه

وإليك قصيدته فى رثاء جاريته جوهرة وقد غرقت فى البحر وهو مسافر ألى إفريقية .

أيا رشاقة غصن البان ما هصركْ
ويا تألف نظم الشمل من نثركْ
ويا شئونى وشأنى كله حَزَنَ
فضى يواقيت دمعى واحبسى دُرَرَكْ

ما خلت قلبي وتبريحي يقلبه

ألا جناح قطاة فى اعتقال شَرَكْ

لاصبر عنك ، وكيف الصبر عنك وقد

طواك عن عينى الموج الذى نشركْ

كلا وروضة ذاك الحسن ناضرة

لا تلحظ العين فيها ذابلا زَهَرَكْ

أماتك البحر ذو التيار من حسد

لما درى الدر منه حاسداً ثَغَرَكْ

وقعتُ فى الدمع إذ أغرقت فى الجج

قد كاد يغمرنى منه الذى غمركْ

أىّ الثلاثة أبكى فقده بدمٍ

عميم خلقك ، أم معناك ، أم صغركْ

من أين يقبح أن أفنى عليك أسى

والحسن فى كل فن يقتفى أثرك

كنت الشبيبة إذ ولت ولاعوض

منها ولو ربح الدنيا الذى خسركْ

ما كنت عنك مطيلا بالهوى سفرى

وقد أطلتِ لحينى فى البِلى سفركْ

هل واصلى منك ألا طيف ميتة

تهدى لعينى من ذاك السكون حَرَكْ

أعانق القبر شوقاً وهو مشتمل

عليك لو كنت فيه عالما خبركْ

وَدِدت يا نور عينى لو وقى بصرى

جنادلا وترابا لاصقاً بشركْ

أقول للبحر إذ أغشيته نظرى

ما كدر العيش ألا شربها كدركْ

هلا نظرت ألى تفتير مقلتها

إنى لأعجب منه كيف ما سحركْ

ياوجهَ جوهرةَ المحجوبَ عن بصرى

من ذا يقيك كسوفا قد علا قمرك

ياجسمها كيف أخلو من جوى حزنى

وأنت خالٍ من الروح الذى عمرك

ليلى أطالك بالأحزان مقتصرا

علىّ من كان بالأفراح قد قصركْ

ما أغفل النائم المرموس فى جدث

عما يلاقى من التبريح من سهركْ

يا دولة الوصل إن وليت عن بصرى

فالقلب يقرأ فى صحف الأسى سوركْ

لئن وجدتك عنى غير نائية	فان نفسي منها ربها فطركْ
إن كان أسلمك المضطر عن قدر	فلم يخنك على حال ولا غدركْ
هل كان ألا غريقا رافعا يده	نهاه عن شرب كأس من بها أمركْ
وارحمتا لو لوع بالبكاء فما	ينسيه ذكر . . . . . . (١)
أما عداك حمام عن زيارته	فكيف أطمع فيك النعش وانتظركْ
إن كان للدمع فى أرجاء وجنته	تبرح فهو يبكى بالأسى خفركْ
وما نجوت بنفسى عنك راغبة	وأنما مد عمرى قاصر عمركْ

د — الفخر والشكوى :

للفخر والشكوى مواطن كثيرة فى شعر ابن حمديس وأكثر

---

(١) نقص فى الأصل

ما يكونان مقترنين ، ولا تكاد تقرأ له شعرا فى المديح والوصف والرثاء حتى تجد الشكوى مبثوثة فى تضاعيفه

أما مبعث الفخر فى نفس الشاعر ، فاعتداده بما لقومه من ماض مجيد ، ومجد تليد . وأما مبعث الشكوى ، فتبرمه بما نالهم من غدر الزمان ، وتصرف الحدثان

وقد كان فخر ابن حمديس بما عرفه المسلمين من ملك عتيد ، وسلطان قاهر . وأما شكواه فأهم أسبابها نكبة بلاده ، وجلاء قومه عن وطنهم ، وما نالهم من ذل بعد عز ، وخوف بعد أمن . وقد نظر ابن حمديس فى آفاق الاسلام ، فلم يجد فيها على كثرتها واتساع أرجائها ، الا وطنا معتدى عليه ، وملكا مغصوبا من أهله ، وظلما فاشيا فى عصره . فكان ذلك من أكبر الدواعى لكثرة شعره الباكى

وهنالك سبب آخر لشكواه وهو أسراع الشيب إليه ، وترحل ظل الشباب عنه ، تجد ذلك منبثاً فى شعره ، حتى خمرياته وغزله .

ومن قصائده فى الفخر والشكوى قوله وهو فى بلاد المغرب (١)

---

(١) من النصوص الأدبية المقررة فى هذا العام

تدرعت صبرى جنة للنوائب فان لم تسالم يا زمان فحارب

الجُنة ما استترت به من سلاح ، شبه الصبر بالدرع ، وقال لبست صبرى درعا أتقى بها المصائب فأنا على استعداد لحرب الدهر إن لم يجنح إلى السلم .

عَجَمتَ حَصَاةَ لا تلين لغامز ورضْتَ شَمُوساً لا يذل لراكب

عجم العود عضه ليختبره — والحصاة الرأى والعقل ، ورضت شموسا أى ذللت جواداً لا يستطاع ركوبه — شبه رأيه بالعود الصلب ، ونفسه بالجواد الصعب ، يريد أن الدهر حاول إذلاله فلم يستطع

كأنك لم تقنع لنفس بغربة
إذا لم أنقب فى بلاد المغارب
فُطِمْتُ بها عن كل كأس ولذة
وأنفقت كنز العمر فى غير واجب

فى البيت الأول جناس بين غربة ومغارب — وما أبدع أن يشبه حرمانه الكأس واللذة بفطام الطفل عن ثديه المحبب إليه . ويشبه عمره بالكنز الثمين ينفق فى غير منفعة — ينكر

على الدهر تشتيت شمله ، وحرمانه قضاء الأوطار من وطنه

ببيت رئاس العضب في ثني ساعدي

معاوضة من جيد غيداء كاعب

وما ضاجع الهندي إلا مثلما

مضاربُه يوم الوغى في الضرائب

رئاس العضب مقبض السيف — وغيداء كاعب أى فتاة ناعمة ناهد — والهندى السيف — والمثلم المضارب المكسر الحد، والوغى الحرب، والضرائب المضروبون بالسيف — انظر فى البيت الأول الى نخره المزوج بأنات نفسه المحزونة ، بعد أن استبدل فى العناق بجيد الغادة الناهد مقبض السيف البتار — ثم إلى نخره فى البيت الثانى بكثرة معالجة الحرب وإتقانه الطعن والضرب، حتى كأن السيف يعانق منه سيفا آخر طالما قطعت مضاربه أوصال الضرائب

فكنت وقدّى فى الصبا مثل قده عهدت إليه أن منه مكاسبى

فان تك لى فى المشرفى مآرب فكم فى عصا موسى له من مآرب

القدّ القامة — والمشرفى سيف منسوب إلى المشارف وهى

قرى من بلاد العرب تدنو من الريف — والمآرب الحاجات — يقول أنه صحب السيف من فجر صباه، أيام كانت قامته لا تعدو قامة السيف طولا، كما أعلمه ألا ينال رزقه إلا بحده. وما أبدع أن يؤيد هذه الدعوى بالبيت الثانى الذى يشبه فيه السيف بعصا موسى تشبيها ضمنيا. وفى هذه العصا يقول تعالى (هى عصاى، أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى، ولى فيها مآرب أخرى)

أتحسبنى أنسى ومازلت ذاكرا   خيانة دهرى أو خيانة صاحبى
تغذى بأخلاقى صغيرا ولم تكن   ضرائبه الا خلاف ضرائبى
ويارُبَّ نبت تعتريه مرارة   وقد كان يسقى عذب ماء السحائب

ضرائبه طبائعه جمع ضريبة — شبه فى البيت الثانى أخلاقه بغذاء حلو كان يطعمه صاحبه. يريد أنه كان يحسن معاملته.

وفى هذه الأبيات — يدع الفخر جانبا ويعود الى نفسه البائسة فيصغى إلى شكاتها خيانة دهره الذى نكب أهله ووطنه، وأخرجه كما عرفت من جنته. وخيانة صاحبه الذى تنكره بعد أن تجهم له وجه الزمان.

وفى البيت الثانى يشرح كيف كان يحسن إلى هذا الصديق

من عهد الصبا فأخلفت الأيام فيه ظنه لأن طبائع هذا الصديق لم تكن كطبائع ابن حمديس ، وما أروع التشبيه الضمنى فى البيت الثالث — فقد شبه هذا الصديق الخائن بنبات مر المذاق طالما روى بعذب ماء السحاب

علمت بتجريبي أموراً جهلتها وقد تجهل الأشياء قبل التجارب
ومن ظن أفواه الخضارم عذبة قضى بخلاف الظن عند المشارب

الخضارم جمع خِضرم وهو البحر الخضم

لعله يعزى نفسه الحزينة بهذين البيتين فيقول لها لئن فجعتك خيانة هذا الصديق إنك رابحة بذلك تجاريب غالية ، فلن تخدعى بعد اليوم ، ولن تكونى كمن ظن أمواه البحار عذبة فحاول أن يشرب منها ، ثم مجها لمرارتها

وقال أيضا فى الفخر والشكوى (١)

أمطتك همتُك العزيمة فاركب لا تلقين عصاك دون المطلب

شبه العزيمة بمطية يركبها صاحبها إلى غايته . وهل هنالك مطية أصلب ظهراً ، وأفسح خُطى من العزيمة — وإلقاء العصا كناية

---

(١) من النصوص الأدبية المقررة فى هذا العام

عن النزول والاقامة ، فكأنه يقول : لا تعتمد على غير عزيمتك في طلب حاجتك ولا يقعد بك الإعياء عن نيل هذه الحاجة

فاطو العجاج بكل يَعْمَلَة لها عوم السفينة في سراب السبسب

العجاج الغبار ولعله غبار السفر — اليعملة الناقة النجيبة المطبوعة — السراب كالماء وليس به . والسبسب البيداء ـ شبه سير الناقة في الصحراء بعوم السفينة في سراب هذه الصحراء

يقول شق هذا الغبار واقطع هذه القفار بناقة تجرى في سراب الصحراء جرى السفينة في الماء

شرِّقْ ليحكي عن ضيائك ظلمة فالشمس يمرض نورها بالمغرب

يمرض نورها يظلم فلا مجاز هنا . وإذا كان المراد يضعف نورها صح أن يكون فيها استعارة. تلمح في هذا البيت رغبته في انتجاع بلاد الشرق، لعله يلقى هناك حياة حرة وعيشاً رافهاً

إن الحظوظ طرقنني في جنة أخرجنني منها خروج المذنب

طرقنني جئنني ليلا ، وجنته صقلية وطنه ، وفي طرق الحظوظ إياه استعارة ، إنه ينكأ قرحة قلبه بهذه الذكرى الممضة، التي ليس له يد منها ، فان فيها على إيلامها بعض السلوى للمنكوبين

كل لأشراك التحيل ناصب فاخلُب بنى دنياك إن لم تغلب
ولرب محتقر تركتُ جوابه والليث يأنف من جواب الثعلب

خالبه خدعه بلسانه ، وفى أشراك التحيّل تشبيه بليغ ، كما أن فى البيت الثانى تشبيهاً ضمنياً .

يصف أهل زمانه بالختل والغدر ، فاخدعهم بزخرف القول إن أعوزتك الغلبة عليهم ، ثم ينعت نفسه بالترفع عن الجرى مع السفهاء فى ميدان السباب

أصبحت مثل السيف أبلى غمده طول اعتلاق نجاده بالمنكب
إن يعله صدأ فذا من صفحة مصقولة بالماء تحت الطاحب

النجاد علاقة السيف . والطلحب خضرة تعلو الماء المزمن . يقول إنه بما عانى من وعثاء الأسفار ، وبما جالد من أحداث الزمان ، صار كالسيف أبلى قرابه طول تعليقه بالمنكب ، لاستخدامه فى الحرب ، فإذا لوّحت جسمى شمس هذه الأحداث ، فما أنا إلا السيف يعلو صفحته صدأ من الدم الذى أساله ، فكان به كالماء تحت الطحلب

هـ — الغزل

الغزل من ألصق الفنون الشعرية بالوجدان. ولكن ابن حمديس وهو الشاعر المصور، لا يكاد يطيق الغزل الوجدانى، فسرعان ما يفر منه إلى الناحية التى قوى فيها استعداده، فينتقل من الوجدان إلى الوصف، ويطنب فى ذكر محاسن المرأة وجمالها، على أن غزل ابن حمديس بعد ذلك غزل صناعى، قدم أكثره تمهيداً بين يدى قصائد المديح، وقرض بعضه تلبية لخواطر عارضة، لا تتصل بإنسان معين، لخلوه من وقائع الأحوال التى يتعرض لها المحبون: كالهجر والوصل، واللقاء والوداع، والتجنى والاستعطاف، وغير ذلك من ملابسات الحب ومستلزماته، فمن غزله الوجدانى الرقيق قوله

عذبتِ رقة قلبي ظلماً بقسوة قلبك

وسمت جسمى سقما وما شفيتِ بطبك

أسخط كل عدو رضيته لحبك

من لى بصبر جميل على رياضة صعبك

فيا تشوّق بُعدى الى تنسم قربك

أما ومرسل زَحْف يُغرى بتقبيل كعبك

ووجنةٍ غمستها في الورد صنعة ربك
لقد جنحتُ لسلمى كما جنحت لحربك
فبالدلال الذى زا د فى ملاحة عجبك
فكّى من الأسر قلبا عليه طابع حبك
ونعّميني بعتبي فقد شقيتُ بعتبك

ومن غزله الوصفي قوله :

ملنى من لا أملّه وأذاب القلبَ دَلُّه
رشأ ينفر خوفا كلما ما شاه ظلّه
ياعليل الطرف جسمى نظرة منك تعلّه
نيط فى خصرك ردف عجبي كيف تقلّه
يا غزالا حرّم اللـــه دمى وهو يحلّه
إنما الحسن محلٌّ لك أو أنت محلّه
بعضه فى أوجه النـــاس وفى وجهك كلّه

ألفاظه وأساليبه ومعانيه وميزاته

١ — ألفاظه :

يرى المطلع على شعر ابن حمديس أن ألفاظه كلها فصيحة ، لاتنبو عن قوانين العربية فى تصريفها أو اشتقاقها ، وقد تقرأ الديوان كله فلا تقع فيه على لفظ ركيك مبتذل ، أودخيل مجتلب ، كما لا تجد فيه الغريب المعمّى الذى لاتسيغه اللغة ، ولا تقبله الأذواق . ولكنك واجد فيه اللفظ الجزل الذى يملأ سمعك شدته ، وتروع نفسك قوته ، وليس هـذا من الغريب الحوشى الذى سبق ذكره

٢ — أساليبه :

وبرئت أساليبه من التعقيد كما برئت مفرداته من الأغراب ، ولكنها لم تكن أساليب البيئة التى عاش فيها ابن حمديس ، تلك البيئة الحضرية التى شاعت فيها رقة الأساليب ، وسهوله العبارات . وإنما كانت أساليب المدرسة التى تخرج ابن حمديس على أساتذتها من شعراء المشرق ، وأخصهم أبو نواس ، وأبو تمام ، والبحترى ، وابن

الرومى ، والمتنبى . ولذلك تجد شعره ينزع إلى أساليبهم فى القوة والمتانة .

ولعلك تقف بعد درس ابن حمديس على أثر آخر لتلك المدرسة فى شعره ، ذلك هو عنايته بطريقة أبى تمام والبحترى فى حسن الملاءمة بين أجزاء القصيدة ، حتى تخرج كأنها قطعة واحدة من الديباج ، متشابهة فى رونقها ومائها

ولا ننس أثراً آخر كان له شأنه فى شعر ابن حمديس ، وهو اصطناع البديع ، الذى أذاعه أبو تمام ومدرسته فى الشعر العربى ، وجعله سمة لشعر المحدثين .

وقد جارى ابن حمديس فيه أبا تمام ، ولم يقصر عن شأوه فيه ، فلم يكن جناسه ، ولا توريته ، ولا حسن تخلصه ، ولا براعة مطالعه ومقاطعه ، بأقل من نظائرها فى شعر أبى تمام والبحترى

٣ — معانيه :

أما معانيه وأخيلته فأكثرها من معانى أولئك الشعراء الذين تأثرهم ابن حمديس ، فقد قلدهم فيها وأحسن التقليد ، فأكثر معانيه فى الخمر احتذاء لأبى نواس ، وقد نسج فى مدائحه ومراثيه

على نول أبى تمام والبحترى : فى طريقتها العامة ، ومعانيها المفردة .

ولكن ابن حمديس يميل دائما إلى التجديد فى المعنى القديم ، ويتصرف فى ذلك تصرفا حسنا ، حتى يخيل أليك أن المعنى من ابتكاره واختراعه .

ومع ذلك فلا يخلو ابن حمديس من معان مخترعة ، وبخاصة باب الوصف ، فهو وإن جرى فيه على سنن ابن المعتز ، استطاع أن يأتى فيه بكل معنى معجب مطرب .

ووضوح المعانى فى شعر ابن حمديس أمر لاشك فيه فى غير باب الوصف . أما الوصف فلا تكاد تقف على براعة تصويره فيه ، إلا بعد أن تقرأ البيت أو القطعة حتى تتصور المعنى ، فإذا أنت فى دهشة من براعة الشاعر وقوة خياله

٤ — ميزاته :

ولعل هذا الشعر الوصفى الرائع هو أخص ميزات ابن حمديس وأدل فنونه عليه . والحق أن قوة التصوير فى ابن حمديس بلغت جد الكمال . فقد خلد لنا شعره من المناظر الطبيعية والمصنوعة مالا يقل فى بهائه وروتقه وروعة فنه عما خلده مهرة المصورين

والرسامين .

وفى شعره مزية أخرى هى براءته من الهجر والسخف وغيرهما مما حشيت به دواوين الشعراء ، وكان وصمة الشعر العربى . وهو بترفعه عن مساجلة الشعراء فى الهجاء ، وتعففه عن إسفافهم إلى ميادين السباب ، يعد بحق من شعراء الأخلاق ، ذوى النفوس الكبيرة العالية

الموازنة بينه وبين شعراء عصره

بين ابن حمديس وابن خفاجة الأندلسى مشابهة واضحة ، فقد حذق كل منهما الشعر التصويرى المادى ، ولكن ابن خفاجة قصر شعره على وصف الطبيعة ، فهو يفضل ابن حمديس من هذه الناحية ، لكن ابن حمديس ، على قلة شعره الطبيعى ، أدق تصويرا ، وأغوص على غرائب المعانى من ابن خفاجة

وبين ابن حمديس وأبى نواس مشابهة فى خمرياته فهى من من واد واحد : الفضل فيها للمتقدم ، ولكن المتأخر منهما لم يعدم الزيادة والاجادة ، وبخاصة معانيه الجزئية

وبين ابن حمديس وأبى تمام والبحترى مشاكلة فى صناعة المديح والرثاء فطريقتهم فيها واحدة

وبينه وبين البحترى خاصة مشابهة فى الفن الوصفى ، فان البحترى من أساتذته فيه، وأسلوبه البديعى مستمد من أسلوب أبى تمام، ولئن أفسد البديع على أبى تمام بعض معانيه، لقد كان البديع فى شعر ابن حمديس حلية الطراز، ووشى الرياض، وتفصيل العقد




Bibliotheca Alexandrina
06024491